(( دروس في الحج ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

عاد ضيوف الرحمن بعد ما عجت ألسنتهم بالتلبية والتكبير ، وفاضت أعينهم بالعبرات والدمعات ، وسالت أرض منى بهديهم ودمائهم، وحلقت أرواحهم في سماء الطاعات.

رجع حجاج بيت الله بعد ما كانوا في ضيافة الرّب الكريم الرحيم الذي وعد وهو الذي لا يخلف الميعاد أنّ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه.

عاد حجاج بيت الله فرحين مستبشرين يرجون رحمة ربهم ويخشون عذابه.

عادوا وحالهم ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ يونس: ٥٨

عادوا ولسان حالهم يقول :

ﭽ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ البقرة: ١٢٧

فهنيئاً لمن أتى هذا البيت العتيق ..

هنيئاً لمن رحل لهذه الديار الطيبة ..

طوبى ثم طوبى لوفد الله في حرم الله ..

حجاج بيت الله ، هلاّ تساءلنا بعد ما تجوّلنا في هذه المشاعرِ والمناسكِ عن مدرسة الحج؟

هلاّ تساءلنا حجاج بيت الله ماذا تعلمنا من مدرسة الحج؟

علمتنا مدرسة الحج كيف نعيش مع النبي في هديه وسنّته.

ففي الحج يتساءل الحجاج عن هدي النبي في طوافه وسعيه ، في قيامه ومنامه ، في حلقه ونحره، في خروجه ودخوله ، في إحرامه وتحلله ، في أقواله وأفعاله .

علمتنا مدرسة الحج أن سنة النبي سفينة النجاة فمن ركبها فقد نجا.

فهنيئاً لعبدٍ جعل سنّة النبي في حلّه وترحاله ، في عبادته ومعاملته، في أقواله وأفعاله ، في باطنه وظاهره ، في أخلاقه وتربية أولاده في أحواله كلها يتحرى سنّة رسوله .

أليس الله يقول ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ النور: ٥٤ ؟

ويقول سبحانه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ النساء: ٨٠

تعلمنا في مناسك الحج كيف نعظم الوقت ونغتنم ساعات الحياة ؟

لقد رأينا الحجاج وهم يعيشون مع اليوم والساعة والدقيقة واللحظة.

يتساءلون عن وقت المبيت ، و يتحرون لحظات غروب الشمس في عرفات ، وساعات المبيت المجزئة في مزدلفة ، و زمن الطواف وساعة النحر ووقت الرمي ، بل رأيناهم يقفون عند الجمرات قبيل الزوال شاخصةً أبصارهم لعقارب الساعة يتربصون اللحظة والدقيقة حتى إذا زالت الدقائق ودخل الزوال تسابقوا إلى رمي الجمرات متعبّدين الله تعالى بوقت الرمي ولحظات الزوال .

لقد علمنا الحج أن الزمن والوقت أغلى كنوز الحياة من هنا عظم السلف الزمن أيما تعظيم حتى وصفهم

الحسن فقال ~ : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشدّ منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم.

لنكن صرحاء لقد بلينا بفتنة إضاعة الوقت ، فتمر الشهور والأعوام ، و الساعات والأيام ولم يحسب لها حساب.

أنْبَأنا خيرُ بني آدمٍ

وما على أحمد إلاَّ البلاغْ

الناسُ مغبونون في نعمتَيْ

صحة أبدانهم والفراغْ

يا قوم نحن بحاجة للحظة صدق ووقفة عتاب مع أنفسنا.

فيسأل العبد نفسه عن العمر أين أفنيناه؟

والشباب أين أبليناه؟

ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ الحجر: ٩٢ - ٩٣

يا سليل المجد إن الحياة فرصة ..

يا حفيد الأبطال إن العمر فرصة لن تعود ..

قسماً بمن خلق السماء بلا عمد إن حياتنا وأنفاسنا فرصة ، فرأس مالنا في هذه الحياة دقائق وثوانٍ وأيامٌ وشهورٌ.

والله لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها.

ولن يقبل الله توبة العبد إذا بلغت الروح الحلقوم.

والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني

ورضي الله عن ابن مسعود وهو يقول : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي ، وقال آخر: كل يوم يمر بي لا أزداد فيه علمًا يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم، والناظم يقول:

إذا مر بي يوم ولم أقتبس هدى

ولم أستفد علما فما ذاك من عمري

عَلَّمَتْنَا مَدْرَسَةُ الْحَجِّ أَنَّ الاجْتِمَاعَ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى الْخَيْرِ، يَرَى الْحَاجُّ بِعَيْنِهِ نُفُوسًا خَاشِعَةً، وَأَعْيُنًا دَامِعَةً، وَابْتِهَالاتٍ صَادِقَةً، بل رأينا من يمضي من عرفات والمشعر الحرام إلى الجمرات والمسجد الحرام مشياً على الأقدام مع أفواج الحجيج دون كلل ولا ملل محتسباً تلك الخطوات عند فاطر الأرض والسماوات.

فالْكُلُّ مَشْغُولًا بِرَبِّهِ؛ فَهَذَا يَتْلُو ويَدْعُو، وَثَالِثٌ يُصَلِّي ويطوف، وَرَابِعٌ ينحر ويحلق؛ وخامسٌ يرمي ويرجم فَتَدْفَعُهُ هَذِهِ الْمَنَاظِرُ إلى أَنْ يَتَأَسَّى بِهِمْ وَيُشَاكِلَهُمْ.

فالْإِنْسَانُ فِي دُنْيَاهُ مَفْطُورٌ عَلَى التَّأْثِيرِ بِمَنْ حَوْلَهُ، وَمَنْ يُصَاحِبُ، وَقَدِيمًا قِيلَ: "الطَّبَائِعُ سَرَّاقَةٌ"، وَأَصْدَقُ مِنْهُ قَوْلُ مَنْ لا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى : "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ". فلو أقسمت لصدقتموني أنه ما ضل ضال ،

ولا أدمن مدمن، ولا تهاون بالصلاة متهاون،

ولا اهتدى مهتدٍ ، ولا استقام على شرع الله مستقيم إلا بدعوة جليس وصاحب .

إن سرّكَ العلمُ وأشبـــاهُهُ

وشاهدٌ ينبيكَ عن غائــــــب

فاعتبر الأرضَ بأسمائها

واعتبر الصاحبَ بالصاحب

علمتنا مدرسة الحج أن لبيك التي عجَّت بها أصوات الحجيج وحملت في معانيها الأدب والانكسار ، والخضوع والافتقار ، والرغبة والرهبة ،

والتوحيد والتمجيد ، والإخلاص والمتابعة ،

فالتلبية كلمةٌ ُتعَلِّمنا أن الذي يملك الضّر والنّفع ، والمنع والعطاء والرزق و البقاء، وأن الذي يستحق التوحيد و التمجيد، والتعظيم والعبادة ، والخوف والرجاء ، هو الله جل جلاله.

فالتلبية زينة الحج ..

فلبيك كلمةٌ تقولها العرب في إجابة النداء ، فالحجاج خرجوا من ديارهم يقولون لبيك اللهم لبيك استجابةً للنداء الإلهي ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﭼ الحج: ٢٧

لبيك اللهم لبيك، إجابة بعد إجابة سمعا وطاعة أنا مستجيب لأمرك ونهيك ، فهل سيبقى معنا هذا الهتاف لبيك اللهم لبيك ؟

فكلما تلقينا من الله أمراً قلنا لبيك اللهم لبيك، وكلما تلقينا من الله نهياً قلنا لبيك اللهم لبيك.

فإذا تجلجلت المآذن بــ الله أكبر الله أكبر والصلاة خيرٌ من النوم قلنا لبيك اللهم لبيك.

وإذا تلونا في كتاب ربنا ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﯧ ﯨ ﯩ ﯪﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ الأنعام: ١٥١ قلنا لبيك اللهم لبيك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله ...

الثانية

علمتنا مدرسة الحج أن الشكر كلمة تحبها النفوس..

الشكر كلمةٌ من أربعة أحرف لكنها تأسر القلوب وتحمل في طيّاتها الأدب والثناء ..

شكراً ..

ما أسهلها على اللسان..

وما أعظمها في النفوس والوجدان..

فقد سمى الله تعالى نفسه بالشكور، فهو سبحانه شكور يحب الشاكرين .

ونبينا يدعونا إلى عبادة الشكر ، فها هو يأخذ بيدِ حبيبه معاذ > ويقول : «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ» فلَا تَدَعَنَّ أن تَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»

ويقول «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فالشكر كلمةٌ يحبها الوالد من ولده ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ لقمان: ١٤

الشكر حروفٌ يحتاجها الولد من والده.

والمعلم من طلابه ، والطالب من أستاذه.

الشكر كلمةٌ تحبها الزوجة من زوجها ، والزوج من زوجته ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ البقرة: ٢٣٧

لقد أثنى الله تعالى على نوح عليه السلام فقال سبحانه : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭼ الإسراء: ٣

الشكر يا كرام عبارةٌ يستحقها كل من أسدى إليك معروفاً.

الشكر كلمةٌ يستحقها رجال الأمن وأبطال الحدود.

الشكر كلمةٌ يستحقها رجال الحسبة وأسود الدعوة.

الشكر كلمةٌ يستحقها كل من سعى في خدمة ضيوف الرحمن وبذل الغالي والنفيس في إكرام وإطعام حجاج بيت الله.

فشكراً ثم شكراً نقولها ونرفع الصوت ولا نخافت بها.

شكراً للعلماء والأمراء..

شكراً للوزراء والمسؤولين ..

شكراً للقطاعات الأمنية والحكومية ..

شكراً لمن سقى وأطعم ضيوف الرحمن ..

شكراّ لمن علّم وأرشد وأفتى ..

شكراً لكل من بذل معروفاً وإحساناً ..

شكراً لمن أماط أذىً عن ضيوف الرحمن ..

شكراً لولاة أمرنا وقادة بلادنا ..

شكراً لخادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين .. شكراً على دعمهما وإنفاقهما وإشرافهما واهتمامهما ،، فاللهم اجزهم عنّا وعن حجاج بيت الله خير ما جزيت حاكماً أميناً على حكامه.

تمت الخطبة..